بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)**

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ)

سبب النُّزول:

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال:(كَانَتْ عُكَاظٌ، ومَجَنَّةُ، وذُو المِجَازِ، أَسْوَاقًا في الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كانَ الإسْلَامُ، فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ: {ليسَ علَيْكُم جُنَاحٌ أنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَبِّكُمْ} [البقرة: 198] في مَوَاسِمِ الحَجِّ قَرَأَهَا ابنُ عَبَّاسٍ).

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ) أي: إنَّه لا حرَجَ على المؤمنين في التكسُّب من التِّجارةِ في مواسم الحجِّ. موسوعة التفسير

وروى أبو داود عن ابن عباس، قال: كانوا يَتَّقون البيوع والتجارة في الموسم، والحج، يقولون: أيام ذكر، فأنزل الله (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ).

⇦والمعنى: ليس عليكم حرج ولا إثم أن تطلبوا زيادة الرزق من ربكم بالتجارة في موسم الحج، بالبيع والشراء وغير ذلك. اللهيميد

⇦جواز الاتجار في الحج وطلب الرزق في البيع والشراء، وهذا امتنان الله على عباده والتوسعة عليهم ودفع الحرج عنهم.

⇦لكن إن كان هو المقصود بالسفر للحج، فليس لصاحبه سواه، لأن الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

(فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) أي: إذا دفَعْتُم مِن عرفاتٍ إلى مزدلفة، فاذكروا اللهَ تعالى عند مزدَلِفة، ويدخُلُ في ذلك الصَّلاةُ والدُّعاء عندها. موسوعة التفسير

⇦الإفاضة من عرفات: الدفع والانصراف منها إلى مزدلفة.

وعَرَفَاتٍ: علم على مكان وقوف الحجاج يوم التاسع من ذي لحجة.

✉سميت بذلك: **قيل**: لارتفاعها عما حولها. **وقيل**: لأن الناس يعترفون فيها بذنوبهم. **وقيل**: لأن آدم لما أهبط هو وزوجته حواء تعارفا في هذا المكان، وقيل غير ذلك.

قال الشوكاني: وسميت عرفات؛ لأن الناس يتعارفون فيه. وقيل: إن آدم التقى هو وحواء فيها، فتعارف.

وقيل: غير ذلك، قال ابن عطية: والظاهر: أنه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع.

⇦والوقوف بعرفة هو أهم وأعظم أعمال الحج وأركانه قال ε (الحج عرفة).

✉لا ينزل الله إلى السماء الدنيا إلا في زمن عظيم، ولم يثبت نزوله سبحانه نهارا إلا يوم عرفه ولا أوسع من باب رحمته فيه، والمحروم من لم يجد مدخلا. الطريفي

عَنْ جَابِرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةُ فَيَقُولُ : " انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، فَتَقُولُ الْمَلائِكَةُ : يَا رَبِّ فِيهِمْ فُلانٌ وَفُلانَةٌ " ، قَالَ : " فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ " . تخريج شرح السنة

✉**وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ**، قَالَتْ: " نِعْمَ الْيَوْمُ يَوْمٌ يَنْزِلُ فِيهِ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا "، قِيلَ لَهَا: وَأَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: " يَوْمُ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا يَغْفِرُ اللَّهُ فِيهِ لِجَمِيعِ مَنْ شَهِدَهُ "

(فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) المشعر الحرام مكان أداء الشعيرة من شعائر الله، والمراد هنا المزدلفة كلها، أي: فاذكروا الله بألسنتكم وقلوبكم وجوارحكم بصلاة المغرب والعشاء والفجر ودعائه وتكبيره وتهليله وتوحيد.

وقيل: المشعر الحرام جبل هناك، لحديث جابر في صفة حج النبي ε وفيه (حتَّى أتى المُزْدَلِفةَ فصَلَّى بها المغْرِبَ والعِشاءَ بأذانٍ واحدٍ وإقامتينِ، ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئًا، ثم اضطجَعَ حتى طلَعَ الفَجْرُ، وصلَّى الفَجْرَ حين تَبَيَّنَ له الصبحُ، بأذانٍ وإقامةٍ، ثم رَكِبَ حتى أتى المشعَرَ الحرامَ، فاستقبَلَ القبلةَ، فدعا اللهَ تعالى وكبَّرَه وهلَّلَه، فلم يَزَلْ واقفًا حتى أسفَرَ جِدًّا، فدفع قبل أن تطلُعَ الشَّمْسُ) رواه مسلم.

ففي قوله: حتى أتى المزدلفة ... ثم قال: حتى أتى المشعر الحرام ما يدل على التغاير، ويفيد أن المشعر الحرام جزء من مزدلفة.

وقوله (الْحَرَامِ) أي: ذو الحرمة، لأنه داخل الحرم، فمزدلفة داخل الحرم.

(وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) أي: اذكُروا اللهَ عزَّ وجلَّ شُكرًا على هِدايتِه لكم، ومِن ذلك: الإرشادُ إلى مناسِكِ الحجِّ الصَّحيحةِ، واذكروه على الصِّفة الَّتي هداكم لها، أي: وَفْق ما شرَعه سبحانه، وقد كنتم مِن قبلِ هذا الهُدى في ضلالٍ عن الطَّريق المستقيم، كأداءِ مَناسِكِ الحجِّ في الجاهليَّة خلافًا لِما جاء به إبراهيمُ الخليلُ عليه الصَّلاة والسَّلام. موسوعة التفسير

(وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أمر الله عز وجل بذكره عند المشعر الحرام، ثم أكد الأمر بذلك مقروناً بتنبيههم بما أنعم به عليهم من هدايتهم وتوفيقهم للطريق المستقيم، ولمعرفة مشاعر الحج ومناسكه وأحكامه خاصة. اللهيميد

⇦الكاف في قوله (كما هداكم) يحتمل أن تكون للتشبيه، أي: واذكروه على الصفة التي هداكم وأرشدكم

إليها، أي: وفق شرعه ⇦ويحتمل أن تكون للتعليل، أي: واذكروه لهدايته لكم.

قال السعدي: قوله تعالى (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أي: اذكروا الله تعالى، كما منّ عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعِم بالقلب واللسان.

قيمة الإيمان: هو أعظم النعم وأعز المواهب، وأغلى الغايات، وأنه الكنز الذي لا يباع ولا يشترى، ولا يعطيه أحد لأحد، حتى الذين وهبهم الله منه لا يمكن أن يهبوه للعباد، بل أولادهم بين أيديهم لا يمكن أن يهبوهم منه ولو شيئاً يسيراً لقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في عمه (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ)،إن هذا الإيمان لو كان ينال بالنسب والشرف لناله أبو طالب وأبو لهب وآزر أبو إبراهيم، ولناله ابن نوح وامرأته وامرأة لوط، وأن هؤلاء ناس فردوا بالكفر في محض النبوات ومهد الرسالات.

قال الحافظ ابن القَيِّم –رحمه الله تعالى- فإن من لم يرَ نعمة الله عليه إلَّا في مأكله ومشربه وعافية بدنه فليس له نصيب من العقل البتة، فنعمة الله بالإسلام والإيمان، وجذب عبده إلى الإقبال عليه، والتلذذ بطاعته هي أعظم النعم، وهذا إنما يدرك بنور العقل وهداية التوفيق. (مدارج السالكين)

(وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ) أي: قبل هداه لكم بما أنزل عليكم من القرآن وبعثة محمد ε .

قبل بعثة سيد المرسلين ε كان العرب في الجزيرة العربية، يعبدون الأصنام، حجارة ينحتونها ثم يسجدون لها، وكان أحدهم يأخذ معه حجرًا صغيرًا على هيئة صنم يسجد له، وقد كان مع أحدهم تمر ولم يكن معه صنمه فجعل من التمر على هيئة صنم ثم سجد له، وبعد أن جاع أكله ثم تغوطه.

⇦وقد شاهد أحد هؤلاء الجاهليين ثعلبين يبولان برأس صنم فقال:أربٌّ يبول الثَّعلبان برأسه؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب.

وكان في العرب عادات أخرى سيئة وأُخرى حسنة، من عاداتهم السيئة شرب الخمر ووأد البنات، وإهانة المرأة، والعصبية الجاهلية والتفاخر بالأحساب والانساب، والقتل والسلب والزنا .... ولكن كان إلى جانب تلك الصفات الرديئة، صفات حسنة منها الكرم والشجاعة والمروءة وحماية الجار وإغاثة الملهوف.

قال ابن كثير: وأمرنا سبحانه أن نذكر حال الناس قبل النعمة المهداة والرحمة السابغة ببعثة الحبيب عليه الصلاة والسلام (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (103) ال عمران

وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج كيف كانوا قبل بعثة الرسول ε ، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانا

متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، كانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم، فأبعدهم الله منها: أن هداهم للإيمان.

(لَمِنَ الضَّالِّينَ) أي: التائهين البعيدين عن طريق الحق، وعن معرفة مشاعر الحج ومناسكه وأحكامه. اللهيميد

⇦الضالين هذا حال جميع الناس المعرضين عن الكتاب والسنة، هم الضالين المضلين، ولو اعتقدوا في أنفسهم غير ذلك، وكيف يهتدي من جعل كتاب الله وراء ظهره، والشيطان نصب عينيه، والله يصف لنا حالهم وحال شياطينهم (إِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (37) والحقيقة أنهم أبعد ما يكونوا عن طريق الهداية.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ –رضي الله عنه –عَنْ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم –فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ .... (يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْته، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ) مسلم

⇦لذلك المسلم يردد طلب الهداية من الله تعالى، وهو يناجيه في صلاته كلها، فريضة أو نافلة، آناء الليل وأطراف النهار وما بين ذلك، عشرات المرات في اليوم الواحد.

قال ابن القيم: ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، أجل المطالب لنيل أشرف المواهب، علم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يدي الدعاء حمده سبحانه، والثناء عليه، وتمجيده، ثم ذكرهم عبوديته وتوحيده، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم:

❶توسل إليه سبحانه بأسمائه وصفاته.

❷ توسل إليه بعبوديته والاستعانة به سبحانه.

⇦وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة:(اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ)

من أعظم العبادات التي نتقرب بها الى الله عبادة الاستهداء: لا تتحقق عبادة الإستهداء ونحن في حالة من الإستغناء، لا بد من توفر شرطين ❶ الفقر التام ❷ الذل التام والانكسار وسؤال الله ان يخرجنا من ظلمات الجهل والمعاصي والشبهات والشهوات.

⇦يجب أن يكون حال العبد أنه دائما فازع إلى الله، يفزع إلى الله أن يهديه الصراط المستقيم، لأن الناس لا يهتدون إلى شيء ينفعهم في دينهم ودنياهم إجمالاً وتفصيلاً إلا بالله تعالى.

(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (199)

(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) أي: أمر الله عزَّ وجلَّ عباده من الحُمْس، وهم قريش الذين كانوا لا يقفون بعرفات، بأن يُفيضوا منها كما كانتِ العربُ كلُّها تُفيض منها. موسوعة التفسير

عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال:(كانت العربُ تطوف بالبيتِ عُراةً، إلَّا الحُمْسَ، والحُمْسُ قريشٌ وما ولَدَتْ، كانوا يطوفون عُراةً، إلَّا أنْ تعطيَهم الحُمْسُ ثيابًا، فيُعطي الرِّجالُ الرِّجالَ، والنِّساء النِّساء، وكانت الحُمْسُ لا يخرُجون من المزدَلِفة، وكان النَّاس كلُّهم يبلغون عرفاتٍ، قال هشام: فحدَّثني أبي، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: الحُمْسُ هم الَّذين أنزَل الله عزَّ وجلَّ فيهم: ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ، قالت: كان النَّاسُ يُفِيضون من عرفاتٍ، وكان الحُمْس يُفيضون من المزدلفة، يقولون: لا نُفِيض إلَّا من الحرَم، فلمَّا نزلت: أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ، رجَعوا إلى عرفاتٍ)رواه بخاري ومسلم

(ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) يحتمل: أن يكون المراد بالإفاضة هنا الدفع من المشعر الحرام، أي: من مزدلفة إلى منى لرمي جمرة العقبة وذبح الهدي.

ويحتمل أن يكون تأكيد لقوله تعالى قبل هذا (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ) أي: ثم ادعوا (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ) من المكان الذي وقف فيه الناس ودفعوا منه وهو عرفات.

قال الشوكاني: قيل: الخطاب في قوله (ثُمَّ أَفِيضُواْ) للحمس من قريش، لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفات، بل كانوا يقفون بالمزدلفة، وهي من الحرم، فأمروا بذلك، وعلى هذا تكون «ثم» لعطف جملة على جملة لا للترتيب.

وقيل: الخطاب لجميع الأمة، والمراد بالناس إبراهيم، أي: ثم أفيضوا من حيث أفاض إبراهيم، فيحتمل أن يكون أمراً لهم بالإفاضة من عرفة، ويحتمل أن يكون إفاضة أخرى، وهي التي من المزدلفة، وعلى هذا تكون، «ثم» على بابها أي: للترتيب، وقد رجح هذا الاحتمال الأخير ابن جرير.

✉ بعد وقوفكم بعرفة ومزدلفة أفيضوا من حيث أفاض الناس، يا معشر قريش أفيضوا مع عامة المسلمين الذين حضروا موسم الحج، أفيضوا من حيث أفاض الناس، وكان في قريش أنفة وكبر فلا يتجاوزن مزدلفة، ولا يصلون إلى عرفة، ولا يقفون مع الناس بعرفة، هكذا كانوا في الجاهلية وقبل أن يسلموا لما كانوا مستولين على مكة قبل أن تفتح كانوا يقولون: نحن أهل الحرم فلا نخرج من حدود الحرم، فلا يدخلوا عرفة ولا يصلوا إليها، كما قالت عائشة رضي الله عنها: "كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، ويسمون أنفسهم بالحُمس لتحمسهم في دينهم وتمسكهم بما كان عليه آباءهم، وكان سائر العرب يذهبون إلى عرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات"صالح المنجد

(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي: أمَر اللهُ تعالى حُجَّاج بيته أنْ يطلبوا المغفرةَ منه سبحانه، أي: سترَ ذنوبهم، والتجاوز عنها؛ فهو سبحانه وتعالى أهلٌ لأنْ يُطلَبَ منه ذلك؛ لأنَّه غفورٌ ورحيمٌ بعباده المؤمنين. موسوعة التفسير

قال الإمام ابن القيم رحمهُ الله: لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تف بِطُهرهم طُهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة:

❶ نهر التوبة النصوح. ❷ ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها. ❸ ونهر المصائب العظيمة المكفرة.

⇦فإذا أراد الله بعبده خيرا أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة فورد القيامة طيباً طاهراً فلم يحتج إلى التطهير الرابع .مدارج السالكين (١/٦٤)

⇦مشروعية الاستغفار بعد الاستفاضة من عرفات والانتهاء من أعمال الحج.

كثيراً ما يأتي الأمر بالاستغفار بعد الانتهاء من الأعمال: ففي هذه الآية أمر الله وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات وهو أجل المواقف وأفضلها، فقال (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ).

وفي الصحيح (أن النبي ε كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ...).

وأمره بالاستغفار بعد أداء الرسالة، واقتراب أجله، فقال في آخر سورة أنزلت عليه (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً).

والحكمة من ذلك: **كما قال ابن القيم**: لشهودهم تقصيرهم فيها، وترْك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه ولعل من الحِكم: دفع العجب ورؤية النفس.

فإن الله تعالى هو المنعم، وما من مخلوق إلا وقد أنعم الله عليه من نعمه الظاهرة، والباطنة، والملائكة عباد الله المكرمون، خلقوا من نور، لا يأكلون، ولا يشربون، يعبدون الله تعالى بأنواع العبادات، كما قال سبحانه وتعالى: (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) {الأنبياء:19-20}.

وقد من الله تعالى عليهم بذلك، وبنعمة الإيمان به، وكفى بها نعمة، فقال عنهم: (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) {غافر:7}.

ومع ما وصفهم الله تعالى به من العبادة، والطاعة، وأن مِنهم مَن هو ساجد لله، لا يرفع رأسه منذ خلق، ومنهم من هو راكع، لا يرفع رأسه من الركوع منذ خلق إلى يوم القيامة، فإن قولهم: "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"؛ احتقارًا لعبادتهم، وأعمالهم في جنب الله تعالى؛ لأنه لا أحد يقدر أن يعبد الله تعالى حق عبادته، ويعرفه حق معرفته، ويتقيه حق تقواه، ويعظمه حق عظمته حقيقة، ولو عبد الله تعالى بكل ما يستطيع لما أدى أقل القليل من حقه سبحانه وتعالى؛

جاء في تفسير ابن كثير: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى مَلَائِكَةً تُرعَد فَرَائِصُهُمْ مِنْ خِيفَتِهِ، مَا مِنْهُمْ مَلَكٌ تَقْطُرُ مِنْهُ دَمْعَةٌ مِنْ عَيْنِهِ إِلَّا وَقَعَتْ عَلَى مَلَكٍ يُصَلِّي، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلَائِكَةً سُجُودًا مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، لَمْ يَرْفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَلَائِكَةً رُكُوعًا، لَمْ يَرْفَعُوا رُءُوسَهُمْ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ نَظَرُوا إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالُوا: سُبْحَانَكَ! مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. قال ابن كثير: إِسْنَاده لَا بَأْس بِهِ.

قال السعدي: ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، ومنّ بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت،

ورد الفعل، كما أن الأول، حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر.

(**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ**) أي: ذو مغفرة واسعة كما قال تعالى (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) وقال تعالى (إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ).

قال السعدي: الغفور: الذي لم يزل يغفر الذنوب ويتوب على كل من يتوب.

قال ابن القيم:

وَهُوَ الغَفُورُ فَلَو أُتِيَ بِقُرَابِهَا *** مِنْ غَيرِ شِرْكٍ بَلْ مِنَ العِصْيَانِ

لَأَتَاهُ بِالغُفْرَانِ مِلءَ قُرَابِهَا *** سُبحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفْرَانِ

والمغفرة: هي ستر الذنب عن الخلق، والتجاوز عن عقوبته، كما في حديث ابن عمر في المناجاة أن رسول الله ε قال (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأَنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ) رواه البخاري ومسلم.

قال الشيخ اللهيميد الآثار المترتبة على معرفتنا باسم الله الغفور:

أولاً: محبة الله وحمده وشكره على رحمته لعباده وغفرانه لذنوبهم

يقول ابن القيم: " لو علِم العبد كيف يُدبّر الله له أموره لعلِم يقيناً أن الله أرحم به من أمِه وأبيه ولذاب قلبه محبةً لله".

ثانياً: فتح باب الرجاء والمغفرة للشاردين عن الله تعالى والمسرفين على أنفسهم، فمهما عظمت ذنوب العبد فإن مغفرة الله ورحمته أعظم كما (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53) الزمر

قال السعدي: فلولا مغفرته لهلكت البلاد والعباد ولولا عفوه وحلمه لسقطت السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة.

قال تعالى (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ)، وقد تكفل الله بالمغفرة لمن تاب (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى)، بل من فضله وجود وكرمه أن تعهد بأن يبدل سيئات المذنبين إلى حسنات قال تعالى عن التائبين (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً).

ثالثاً: الإكثار من الأعمال الصالحة والحسنات لأنها من أسباب الحصول على مغفرة الله للسيئات السالفة، قال سبحانه (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى).

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ) (114)

هود

رابعاً: أن كونه سبحانه غفوراً وغفاراً للذنوب لا يعني أن يسرف المسلم في الخطايا والذنوب ويتجرأ على معصية الله تعالى بحجة أن الله غفور رحيم، لأن المغفرة لا تكون إلا بشروطها وانتفاء موانعها قال سبحانه (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً).

⇦ فكلما زاد العلم عن الله زاد البعد عن المعاصي، من كان بالله أعرف كان منه أخوف، فيرى الهفوة أو الزلة شيء عظيم انظروا في حال المقربين كيف كان دعائهم، عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، أَنَّه قَالَ لِرَسولِ اللَّه ﷺ: (عَلِّمني دُعَاءً أَدعُو بِهِ في صَلاتي، قَالَ: قُلْ: اللَّهمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، وَلا يَغْفِر الذُّنوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِر لي مغْفِرَةً مِن عِنْدِكَ، وَارحَمْني، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفور الرَّحِيم) متَّفَقٌ عليهِ.

خامساً: مجاهدة النفس على التخلق بخلق الصفح عن الناس وستر أخطائهم وعوراتهم والاهتداء بهدي القرآن الكريم الذي يأمر بالعفو عن الناس ومقابلة السيئة بالحسنة، قال سبحانه في وصف المتقين (والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ).

(رَحِيمٌ) اسم من أسماء الله، متضمن لصفة الرحمة لله الواسعة كما قال تعالى (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) وقال تعالى (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ) وقال تعالى (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ).

⇦ رَحيمٌ ليّس يتركني إذا ما قلتُ أَوّاهُ! هو الله ، وما للروح إلاهُ.

♦ وروى زيد بن أسلم قال: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأخذ رجلٌ فرخَ طائر، فجاء الطيرُ فألقى نفسَه في حِجر الرجل مع فرخه، فأخذه الرَّجل، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((عجبًا لهذا الطائر! جاء فألقى نفسَه في أيديكم رحمةً لولده، فوالله، للهُ أَرحم بعبده المؤمن من هذا الطائر بفرخه))؛ رواه البيهقي في شُعب الإيمان، والبزار.

♦ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: قُدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بِسَبي، فإذا امرأة من السَّبي تَبتغي، إذا وجدَت صبيًّا في السَّبي أخذَته فألصقَته ببطنها وأرضعَته، فقال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((أترون هذه المرأة طارحَةً ولدَها في النَّار؟))، قلنا: لا والله وهي تقدِر على أن لا تطرَحَه، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((للهُ أَرحم بعباده من هذه بولدها))؛ رواه مسلم.

♦ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ لله مائة رحمة، أنزل منها رَحمةً واحدة بين الجنِّ والإنس والبهائم والهوام، فبِها يتعاطفون، وبها يتراحَمون، وبها تعطف الوحشُ على ولدها، وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمة يَرحم بها عبادَه يوم القيامة))؛ رواه مسلم.

♦ وعن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((لما قضى الله الخلقَ كتب كتابًا، فهو عنده

فوق عرشه: إنَّ رحمتي سبقَت غضبي))؛ هذا حديث متفَق عليه.

قال الشيخ اللهيميد من آثار رحمته:

من رحمته سبحانه وتعالى إرسال الرسل وإنزال الكتب هداية للناس وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور، فالرسل رحمة من عند الله لعباده قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ).

ومن رحمته سبحانه وتعالى مغفرته لذنوب عباده والصفح عنهم، وتكفير سيئاتهم، وفتح باب التوبة لهم.